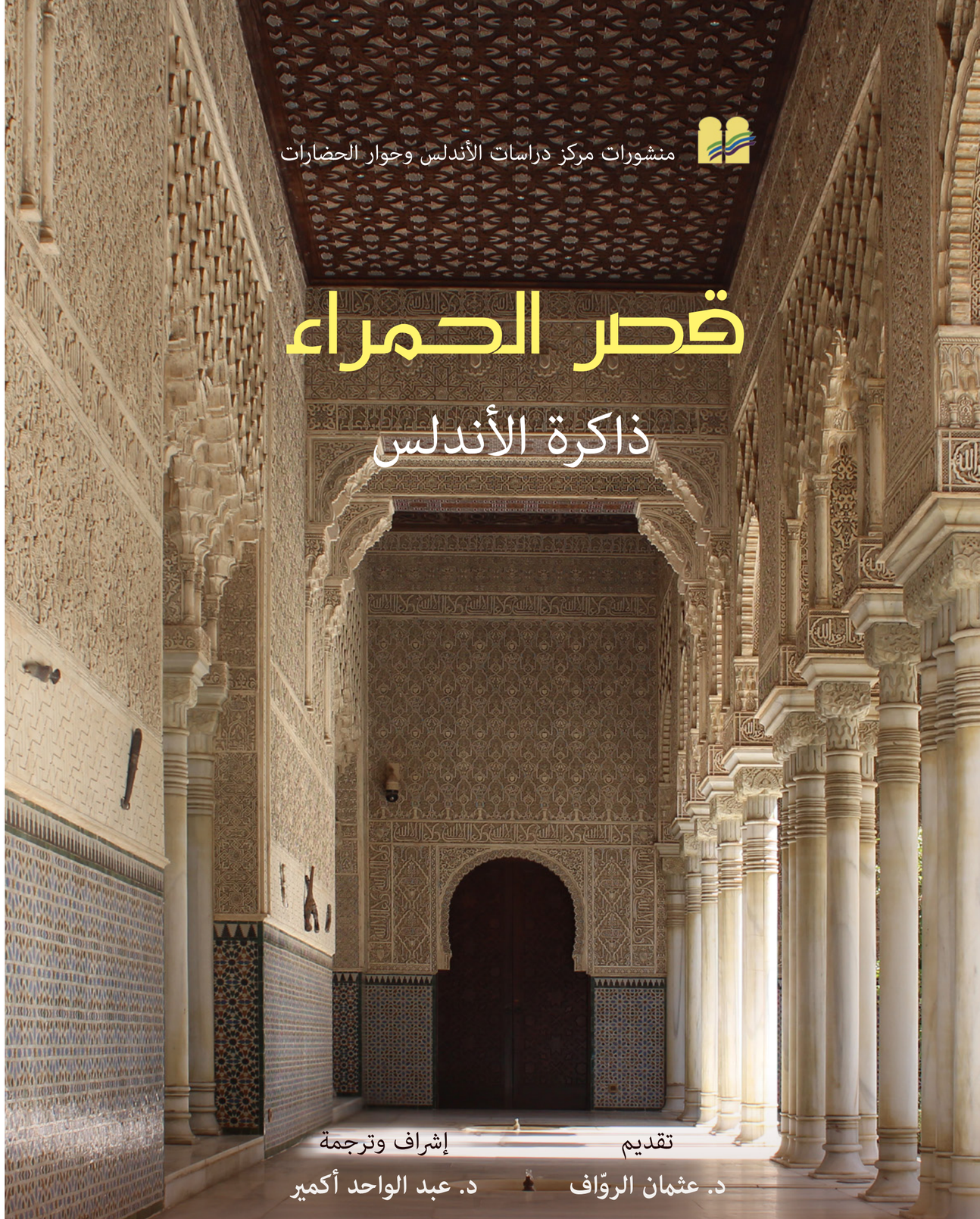

مركز دراسات الأندلس وحوار الحضارات، الرباط
بتعاون مع:
إدارة الحمراء وجنة العريف، غرناطة
البيت العربي، مدريد
دار النشر Edilux، غرناطة

العنوان: قصر الحمراء، ذاكرة الأندلس
تأليف: مجموعة من الباحثين
سلسلة ترجمات 1
تصميم وتنسيق النصوص: نيروز بكور
تصوير: أغوسطين نونييث
خريطة الحمراء: دار النشر Edilux
طبع في: Imprenta Comercial. Motril
تغليف: Hermanos Olmedo s.l.

© حقوق الصور للمؤلفين التالية أسماؤهم الذين زودوا الكتاب بصور ورسوم مقالاتهم: أسامة الجوهري، خوان كالترابا، خوسيه ميغيل بويرتا، جان مارك كاستيرا، أنطونيو أوريويلا، رودريغو غوتييرّيث فينواليس، خوسيه أنطونيو غونثالِث ألكانتود، خوان مانويل بارّيوس. اقتناء صور باقي المقالات والتعليق عليها: خوسيه ميغيل بويرتا.

الشكر لإدارة الحمراء وجنة العريف ومكتب حمراء المشرق للترخيص بالتصوير ومنح الصور لهذا الكتاب.
الشكر كذلك لدار النشر قمارش (Comares) الغرناطية لمنحنا حقُّوق النشر، والتي سبق لها أن نشرت في عام 2008 النسخة الأصلية الإسبانية المتضمنة للكثير من النصوص المنشورة في كتابنا هذا.

© حقوق النشر محفوظة لمركز دراسات الأندلس وحوار الحضارات (الرباط) وإدارة الحمراء وجنة العريف (غرناطة).

ISBN: 978-84-95856-21-0

رقم الإيداع: Depósito legal: GR 28-2015

الطبعة الأولى 2015

Centro de Estudios al-Andalus y Diálogo de Civilizaciones, Rabat: www.andalusite.ma
Patronato de la Alhambra y Generalife
www.alhambra-patronato.es
Casa Árabe: www.casaarabe.es
DISTRIBUCIÓN: توزيع:
edilux@edilux.es / www.andaluciabooks.com
Edilux: tlf. 00 34 958 082000

منشورات مركز دراسات الأندلس وحوار الحضارات
سلسلة ترجمات 1

قصر الحمراء

ذاكرة الأندلس

تقديم: د. عثمان الرواف

إشراف وترجمة: د. عبد الواحد أكمير

الرباط، 2015

المحتويات

تقديم 13 د. عثمان الرواف
الفصل التمهيدي 19 د. عبد الواحد أكمير

الباب الأول: السياق التاريخي لقصر الحمراء

الحياة السياسية في مملكة غرناطة 33 د. عبد الواحد أكمير
الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية في مملكة غرناطة 39 د. خوسيه رامريث ديل ريو
قصر الحمراء كفضاء للعنف السياسي خلال عصر بني الأحمر 49 د. فرانسيسكو فيدال

الباب الثاني: الهندسة المعمارية في قصر الحمراء

قصر الحمراء وأثره في نظريات العمارة 57 د. أسامة الجوهري
قصر الحمراء، أسطورة معمارية 69 د. خوان كالترابا
الكوفي المعماري: أروقة خطية فردوسية في قصور الحمراء 81 د. خوسيه ميغيل بويرتا
زخرفة قصر الحمراء: خطوط هندسية حية 87 د. جان مارك كاستيرا

الباب الثالث: الحمراء المسافرة

حمراء المشرق: أصالة الحلم المعماري العربي وحداثته 95 د. خوسيه ميغيل بويرتا
استنساخ قصر الحمراء في المشرق 141 د. أنطونيو أوريويلا
الحمراء ما وراء المحيط الأطلسي: مسالك أمريكية لهاجس رومانسي 159 د. رودريغو غوتييرّيث فينواليس
قصر الحمراء والمغرب: جسر إسباني-موريسكي 185 د. محمد المطالسي
دراسة مقارنة بين حدائق قصر الحمراء ورياض مراكش 209 د. فيصل الشرادي
من حدائق قصر الحمراء إلى حديقة ماريا لويسا في إشبيلية 215 دة. ليلي ليتفاك

الباب الرابع: قصر الحمراء في الأدب العربي والعالمي

قصر الحمراء عند ثلاثة أدباء رومانسيين 221 د. جان ميشيل كورني
أضواء جديدة على قصور الحمراء من خلال ديوان ابن زمرك 235 د. محمد عبد المنعم الجمل
قصر الحمراء في عيوننا وعيون الآخرين من خلال نماذج إبداعية مختارة 257 د. جمعة شيخة
قصر الحمراء: تاريخ معلمة ومعلمة تاريخ 281 دة. صوفي ماكاريو ود. غابرييل مارتينيث غروس
ناسك في بلاط الحمراء: الأسرار السبعة في الحس والخيال والإبداع 301 د. خوسيه ميغيل بويرتا
الحمراء، مدينة القصور وحديقة الفردوس 325 دة. ماريا خيسوس روبييرا ماتا

الباب الخامس: قصر الحمراء بعد سقوط غرناطة

التغييرات التي أدخلها القشتاليون على قصر الحمراء 333 د. أنطونيو مالبيكا
الكارثة والإشاعة: حريقا القيسارية (1843) وقصر الحمراء (1890) 347 د. خوسيه أنطونيو غونثالِث ألكانتود
ترميم قصر الحمراء من طرف المحافظ رفائيل كونطريراس 365 د. أنطونيو أوريويلا
البعد الفردوسي لقصر الحمراء لدى السائح المعاصر 373 د. خوسيه أنطونيو غونثالِث ألكانتود
قصر الحمراء: الإدارة، العمارة والسكان: 1813 و1849 381 د. خوان مانويل بارّيوس
خاتمة 391 د. سعيد بنسعيد العلوي

الحمراء ما وراء المحيط الأطلسي
مسالك أمريكية لهاجس رومانسي

د. رودريغو غوتييرّيث فينواليس

جامعة غرناطة

تميزت الهندسة المعمارية في القرن التاسع عشر بعدم تقيدها في كثير من الأحيان بالشروط الأكاديمية، نسجل ذلك مثلاً في أمريكا حيث انتشرت مجموعة من التيارات الفنية التاريخية المستوردة من أوروبا، والتي يبرز فيها بشكل كبير جانب الزخرفة على حساب التيارات الكلاسيكية التي بدأت تعرف آنذاك نوعاً من التراجع. وقد أفسح هذا، المجال لأساليب فنية تاريخية بارزة مثل الفنين القوطي والروماني، لكنه في نفس الوقت أفسح المجال لأساليب فنية يمكن تصنيفها في خانة الجهوية أو الإقليمية، مثل الأسلوب الفني النورماندي والبافاري والباسكي والألبيني واللومباردي والبروتوني، بل وأحياناً أخرى لأساليب بعيدة عن الثقافة الأمريكية، مثل الأسلوب الهندي، والبابلي، والإسلامي. هذا الأخير هو موضوعنا في هذه الدراسة. وبطبيعة الحال، كما كان لهذه التيارات المتعارضة مع بعضها حضور قوي في أمريكا خلال نهاية القرن التاسع عشر، كان لها الحضور نفسه في أوروبا إبان المرحلة ذاتها.

خضع استعمال هذه الأساليب، التي يمكن أن نسميها بـ «الجديدة»، لطبيعة المباني التي يراد تشييدها؛ فالهندسة المعمارية الرومانية والقوطية استعملت عادة في تشييد دور العبادة والقلاع والحصون على طريقة القرون الوسطى، وفي تشييد السجون والثكنات العسكرية ومباني مؤسسات الجمارك، وذلك لما توفره من شروط الأمن والحماية. وقد استعمل نفس الأسلوب في تشييد حدائق وبساتين زينت جدرانها بأشكال هندسية تنتمي للعصر الروماني. وبجانب الأسلوبين الروماني والقوطي، استعملت أساليب أخرى مثل الفرعوني والهندي في تشييد مبان مثل حدائق الحيوانات.

بالنسبة للفن الإسلامي والذي سنسميه كذلك في هذه المقالة بـ «الفن العربي الجديد» (Neoárabe)، فقد استعمل خلال المرحلة التي تهمنا في مباني وفضاءات التسلية واللهو، سواء ذات النفع العمومي أو الخاص، كما استعمل في معابد وبنايات حكومية ومبان أخرى مختلفة. وسوف يستلهم هذا التيار إبداعاته بدرجة كبيرة من قصر الحمراء. وكما يرى أنخل إساك (Ángel Isac)، يظهر قصر بني الأحمر وكأنه «بناء سحري قادر على أن يوحي بأرقى المشاعر وأسمى أذواق الجمال، وهو ما سيسمح بانتشار التيار الرومانسي المستلهم إيحاءاته من الحمراء، وبالتالي سيسمح بانتشار موضة الصالون العربي»[1].

وسيصل الافتتان بقصر الحمراء إلى أعلى مستوياته في الجزر البريطانية، حسب تونيا راكيخو (Tonia Raquejo) التي ترى أن في بريطانيا: «تجاوز الاهتمام بما كان يثيره قصر الحمراء من خيال خصب، الاهتمام بقصر الحمراء نفسه»[2]، وهو ما يعني أن قصر غرناطة ليس مجرد بناء

► خوسيه رامون إيبارّولا (José Ramón Ibarrola)، كشك سانتا ماريا دي لا ريبيرا، مدينة مكسيكو، 1884–1908. كل صور هذا المقال التقطها مؤلفه.

1. Isac, Ángel, *Eclecticismo y pensamiento arquitectónico en España. Discursos, revistas, congresos, 1846-1919*, Granada, Diputación Provincial, 1987, p. 60.

2. Raquejo, Tonia, «El Alhambresco: constitución de un modelo estético y su expresión en la tradición ornamental moderna», en *La imagen romántica del Legado Andalusí*, Barcelona, Lunwerg, 1995, p. 29.

يمكن تقليده، وإنما مصدر إيحاء لتأويلات خصبة تصل أحياناً درجة الخيال.

ومن أولى البنايات التي شيدت في الغرب والتي استلهمت بعض عناصرها من الهندسة المعمارية الشرقية، نذكر الرواق الملكي في مدينة بريغتون (Brighton) الإنجليزية، وهو بناء يعود تاريخه إلى منتصف القرن الثامن عشر، وقد تم ترميمه ما بين 1815 و1822 من طرف المهندس المعماري جون ناش (John Nash) الذي أضفى عليه طابعاً شرقياً مستلهماً من فن العمارة الهندي. أما بالنسبة للتأثير المباشر لقصر الحمراء، فإننا نعثر عليه في القرن التاسع عشر كذلك، في بنايات من بينها الفناء العربي لـ «لايتون هاوس» (Leighton House) بلندن، وسينما «أسطوريا» (Astoria) بنفس المدينة، والصالون العربي في قصر كارديف (Cardiff) ببلاد الغال.

وبالإضافة إلى بريطانيا، وكذلك إسبانيا، حيث توجد نماذج متعددة لمبان مستوحاة من قصر الحمراء، نعثر على نماذج في بلدان أوروبية أخرى، من بينها كنيس غلوكينغاس (Glockengasse) بمدينة كولونيا الألمانية، الذي شيده المهندس المعماري إيرنيست زويرنير (Ernst Zwirner) سنة 1861، والكنيس الإسباني في الحي اليهودي ببراغ، والصالون الرائع المعروف بـ «قاعة الطاووس» في بلدة ميزانو (Mezzano) القريبة من فلورنسا، والذي بدأت أشغال البناء فيه سنة 1853 ولم تنته إلا عشرين سنة بعد ذلك، وهو يلفت الانتباه بالأساس بجمالية رخامه وزخرفته العربية.

في أمريكا كذلك توجد مبان كثيرة يمكن أن ندرجها ضمن الهندسة المعمارية «العربية الجديدة» (Neoárabe)، رغم أن بعضها، خصوصاً حلبات مصارعة الثيران، قد يصنف في الوقت ذاته ضمن «الفن المدجن الجديد» (Neomudéjar)، وهنا نود أن نوضح أن العبارة التي تستعمل عادة ليست هي «العربية الجديدة»، وإنما «الأسلوب الموريسكي»، والمستعارة من اللغة الإنجليزية «Moorish Style»، وهي التي جعلها ميلز دانبي (Miles Danby) سنة 1995، عنواناً لواحد من أكثر الأعمال استيفاء لـ «الأسلوب الجديد» (Neoestilo) في الهندسة المعمارية[3].

لقد طبع المخيال العمراني للقرن التاسع عشر بشكل كبير هذا «الكرنفال من الأساليب»، كما يتبين من مجموعة من المعارض الدولية التي نظمت آنذاك، بحيث نعثر على أروقة صممت بطريقة لم تستند فيها هذه المعارض فقط على عناصر من ثقافتها، بل استعارت عناصر تاريخية من الماضي، تنتمي إلى ثقافات غريبة عنها. وهذا ما نسجله مثلاً في «الرواق الموريسكي» الذي شاركت به البرازيل في المعرض الدولي بفيلاديلفيا سنة 1878، أو رواق المكسيك في معرض نيو أورلينز سنة 1884. إن هذا وذاك يعبران عن غياب هوية وطنية لدى المسؤولين عن القطاع العمراني، ولدى السلطات السياسية كذلك، لقبولهم المشاركة في معارض عالمية بعناصر غريبة عن ثقافتهم.

بالنسبة لإسبانيا ومشاركتها في هذه المعارض، وهو ماتناوله بالدراسة عدد من الباحثين من بينهم ماريا خوسيه بوينو (María José Bueno)، فقد طرح للنقاش موضوع الهوية العمرانية، وكيف يمكن تقديم صورة خاصة تعكس هذه الهوية، تكون مختلفة عن تلك التي تقدمها بلدان غربية أخرى. وهذا ما تم التعبير عنه من خلال الأسلوب «العربي الجديد» (Neoárabe) الذي استعمل في الرواقين اللذين شاركت بهما إسبانيا في معرضي فيينا سنة 1873 وباريس سنة 1878، لكن ليس في معرض 1900 الذي نظم بنفس العاصمة الفرنسية،

3. Danby, Miles, *Moorish Style*, London, Phaidon, 1995.

حيث تقرر التخلي عن فكرة التعريف بالعمارة الإسلامية، بعد أن تمت المشاركة برواق يمثل أسلوب الهندسة المعمارية المعروف بالفن «الفضي الجديد»[4] (Neoplateresco)، وهو ما لم يكن يعكس ميول الإسبان العمرانية بشكل عام، بحيث نجد مثلاً أن الجاليات الإسبانية في مختلف البلدان الأمريكية واصلت تشييد نواديها وجمعياتها على طراز قصر الحمراء، أو مسجد قرطبة، وذلك بغية منحها خصوصية «إسبانية».

ساهم تنظيم المعارض الدولية في مدن أوروبا والولايات المتحدة في انتشار الأسلوب «العربي الجديد» ليس فقط بهاتين القارتين، وإنما بأمريكا اللاتينية كذلك، لأن هذه المعارض أعطت فرصة للمهندسين المعماريين للتعرف عن كثب على ذلك الفن المعماري التاريخي، وهو ما عمّقوه كذلك من خلال المعلومات التي استقوها من المجلات والكتب المزينة بالصور والزخارف. وسوف تستمر تلك المعارض، وإلى مطلع القرن العشرين، كمادة مصدرية أساسية لهؤلاء المهندسين. غير أنه بعد ذلك التاريخ، ونتيجة ظهور مجلات متخصصة في الهندسة المعمارية، أصبحت هذه المجلات —إلى اليوم— المصدر الذي يسهل لهم المادة المستعملة سواء في التحليل أو في الإيحاء. وكما سجل إدواردو تيخيرا (Eduardo Tejeira): «استفاد جيل من المهندسين المعماريين الأمريكيين اللاتينيين من كتب ومجلات الهندسة المعمارية الصادرة في أمريكا الشمالية، بحيث حاولوا من خلال هذه المجلات الأخذ بأسلوب الرفاه والراحة الذي يسمح به نمط العيش في الولايات المتحدة، لكن مع وضعه في قالب مستلهم من التقاليد الإسبانية[5]». من هذا المنطلق يمكن اعتبار ما نشر في الولايات المتحدة، المصدر الأول الذي نقلت عنه الهندسة المعمارية «العربية الجديدة» التي ظهرت في أمريكا اللاتينية.

وقبل عرض نماذج من الهندسة المعمارية المنتمية للمدرسة «العربية الجديدة» بأمريكا اللاتينية، نرى لزاماً التوقف عند بعض نماذج هذه الهندسة في الولايات المتحدة، غايتنا في الحالتين معرفة إلى أي حد تعتبر تلك النماذج امتداداً لما هو موجود في قصر الحمراء وفي معالم عمرانية أخرى مثل مسجد قرطبة وصومعة لاخيرالدا بإشبيلية. وهنا نود أن نوضح أن الغاية من هذا المقال ليست هي وضع كتالوج مفصل للمباني ذات الهندسة العربية، لأننا لو سعينا إلى ذلك، لما غطت الصفحات المخصصة له، ما يوجد في بلدان منطقة الكاريبي وحدها. لذا إذا لم يعثر القارئ على ذكر لمبان لها علاقة بالموضوع، فإن ذلك لا يعني أننا تجاهلناها، وإنما السبب هو ضيق المجال المخصص للدراسة.

الولايات المتحدة

يعود انتشار الأسلوب «العربي الجديد» بالولايات المتحدة بدرجة أولى إلى المعارض الدولية سالفة الذكر التي نظم عدد منها بهذا البلد، وإلى الاتصال القوي ببريطانيا العظمى، حيث ولد وترعرع التيار المتأثر بهندسة قصر الحمراء (Alhambrismo). وقد تم استعمال هذا الأسلوب في المباني المخصصة للسكن، أساساً في كاليفورنيا وفلوريدا، وفي بعض الفنادق، وكذا في بعض المباني العمومية مثل برج حديقة ساحة ماديسون (Madison Square) بنيويورك، الذي وضع تصميمه سنة 1890 المهندس ستانفورد ويت (Stanford White) وكان نسخة طبق الأصل من صومعة لاخيرالدا، وقد تم هدمه سنة 1925. بعد هذا التاريخ بسنتين، وبمناسبة تنظيم المهرجان السنوي لمدينة ميتشيل (Mitchell) (ولاية داكوتا الجنوبية) (South Dakota) والذي يهدف

4. يمزج ما يسميه البعض بالفن «الفضي الجديد» (Neoplateresco) بين ثلاثة أساليب مختلفة في الهندسة المعمارية: الأسلوب الإيطالي المنتمي لبدايات عصر النهضة الأوروبية، والقوطي والعربي (المترجم).

5. Tejeira Davis, Eduardo, «Raíces novohispánicas de la arquitectura en los Estados Unidos a principios del siglo XX», en *Jahrbuch für Geschichte von Staat, Wirtschaft und Gesellschaft Lateinamerikas*, Colonia-Viena, Böhlau Verlag, 1983, p. 472.

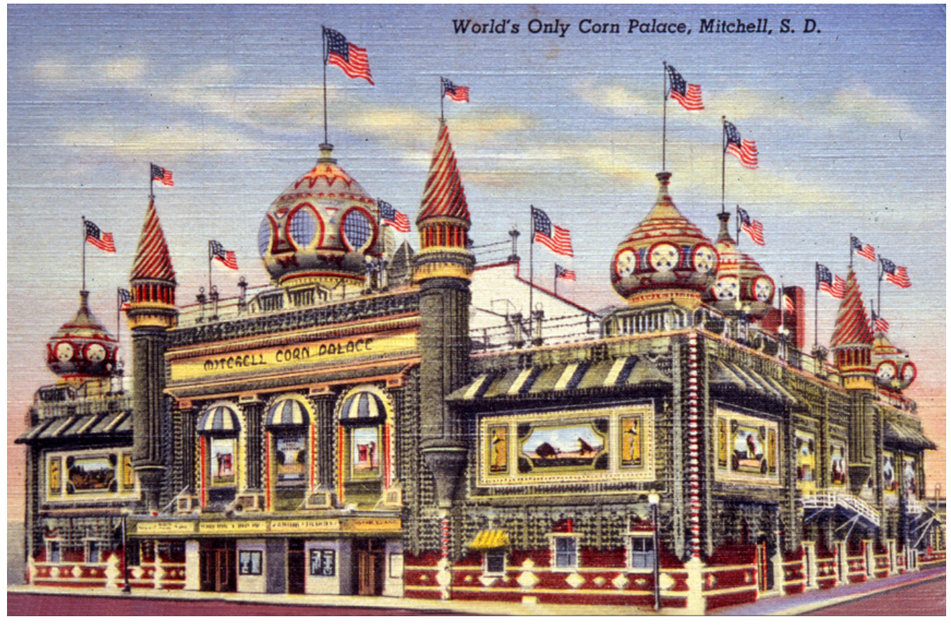

«قصر الذرة» في مدينة ميتشيل (Mitchell) (ولاية داكوتا الجنوبية) (South Dakota).

للتعريف بالثروات الطبيعية للمنطقة، شُيد «قصر الذرة» بهندسة عربية، خصوصاً سقفه الذي تتخلله مجموعة من القباب، وذلك لاحتواء أنشطة المهرجان الذي لا زال ينظم إلى اليوم في نهاية سبتمبر/أيلول من كل سنة، حيث يتم تزيين القصر بديكور عربي بواسطة الحبوب والنباتات التي تنتج بالمنطقة. ومن المباني الأخرى ذات الهندسة العربية، قاعة المحاضرات شراين أوديتوريوم (Shrine Auditorium) الموجودة داخل معبد الملائكة في لوس أنجلس، ويعود تاريخ بنائها إلى سنة 1906، وهي من تصميم المهندسين المعماريين أبراهام إيديلمان (Abraham Edelman) وألبيرت لانغسبورغ (Albert Langsburgh) اللذين طبعاها بهندسة معمارية عربية من الداخل والخارج. وبعد الحريق الذي شب بها سنة 1920 تم ترميمها من جديد، وفي سنة 1975 اعتبرت معلمة أثرية تاريخية للمدينة.

بالنسبة لاستعمال الأسلوب «العربي الجديد» في السكن الخاص، تجدر الإشارة إلى أنه بدأ يحظى باهتمام خاص في فلوريدا منذ العقدين الأخيرين من القرن التاسع عشر، وذلك نتيجة الازدهار الاقتصادي الذي عرفته المنطقة، والذي كان وراء انتشار كل ما هو «طريف وخيالي». ويرجع الفضل الأكبر في انتشار هذا الأسلوب «العربي الجديد» بدرجة أولى إلى باحثين أمريكيين شابين هما جون ميرفين (John Merven) وتوماس هاستينغ (Thomas Hastings)، اللذان سعيا إلى جعله مصدراً لهندسة معمارية معاصرة. وحسب رفائيل كريسبو (Rafael Crespo)، فإنهما بفضل سعيهما ذاك، أعادا الحياة للأسلوب الموريسكي. ومن بين الذين ساهموا في إنجاح مشروعهما نذكر هنري فلاجير (Henry Flager) الذي كلفهما بتشييد فندقين كبيرين في سان أغوستين[6] ما بين 1885 و1889[7]؛ وفرانكلين سميت (Franklin Smith) الذي كلفهما بتشييد

6. هما فندق «القصر» (El Alcázar) وفندق «بونثي دي ليون» (Ponce de León).

7. Crespo, Rafael A., «El revival español en Florida», en *Hispanofilia. Arquitectura y vida en Puerto Rico*, San Juan, Editorial de la Universidad de Puerto Rico, 1998, pp. 31-36.

إقامته الشتوية بنفس المدينة، والتي أطلق عليها اسم «زريدة».

وسيتم تشييد فندق آخر سنة 1891، هذه المرة بمدينة تامبا (Tampa)، حمل اسم «تامبا باي» (Tampa Bay)، وهو فندق كان عليه إقبال كبير، وقد تم فيه المزج بين الهندسة المعمارية المنتمية للعصر الفكتوري والهندسة الموريسكية، خصوصاً في القباب. وكانت مدينة تامبا قد عرفت ازدهاراً مهماً بعد الحرب الأهلية الأمريكية، عندما عبّد رجل الأعمال هنري برادلي (Henry Bradley) في سنة 1884 الطريق التي تربط جاكسونفيل (Jacksonville) بشمال فلوريدا. وسوف يستثمر برادلي خلال نفس العقد أموالاً طائلة في تطوير قطاع السياحة بتامبا، وكان المحور الرئيسي للمشروع هو الفندق المذكور، الذي سيتحول سنوات بعد ذلك إلى مقر لجامعة تامبا.

وسيعرف الأسلوب «العربي الجديد»، صدى أكبر في عشرينيات القرن العشرين في الولايات المتحدة، خصوصاً بولاية فلوريدا التي سيحل بها وبالضبط بمقاطعة بالم بيتش (Palm Beach) رجل الأعمال أديسون ميزنير (Addison Mizner) سنة 1918، الذي سيشجع الهندسة المعمارية ذات الأصول الإسبانية، خصوصاً القوطية والإسلامية، وهو ما سيسمح بتشييد عدة بنايات في «بالم بيتش» وكذا في بوكا راتون (Boca Ratón) التابعة كذلك لولاية فلوريدا. بعد ذلك سينتشر الأسلوب «العربي الجديد» أو الموريسكي، كما يسمى في الولايات المتحدة، بجهات أخرى من ولاية فلوريدا، مثل كورال غابليس (Coral Gables)، وهي منطقة حضرية شيدها رجل الأعمال جيورج ميريك (George Merrick) قرب ميامي، في عز حمى العقار الذي عرفته فلوريدا، وكان أبرز بناء فيها هو فندق بيلتمور (Biltmore Hotel) الذي شيده رجل الأعمال المذكور شراكة مع رجل أعمال ثان استثمر في الصناعة الفندقية هو جون ماك إينتي (John McEntee). ومما يبرز في هندسة هذا الفندق الذي فتح أبوابه سنة 1926 بتنظيم حفل ضخم، برجه المضاء بالأنوار والمستوحى من صومعة لاخيرالدا. هناك نقطة أخرى ذات دلالة في الفندق المذكور، هي كونه من تصميم المهندسين شولتز (Schultze) وويفر (Weaver)، اللذين شيدا سنة 1923 «فندق إشبيلية» في لاهافانا عاصمة كوبا. وقد احترمت نسبة مهمة من بنايات كورال غابليس «الأسلوب الإسباني»، الذي كان موضة رائجة في تلك الفترة، ومن أبرز الأمثلة على ذلك، فندق غابليس إين (Gables Inn) المستوحى من جنة العريف، والذي يظهر فيه الأسلوب الموريسكي أكثر مما يظهر في فندق بيلتمور سالف الذكر.

وتنتمي لنفس المرحلة التي نتحدث عنها مدينة أوبا لوكا (Opa-Locka) الواقعة شمال ميامي، والتي تأوي أكبر عدد من المنشآت العمرانية المستوحاة من الهندسة الموريسكية في العالم. وكانت «الخيالات العربية»، الهاجس الأول لمؤسس مشروع المدينة غلين كورتيس (Glenn Curtis)، الذي موَّل ما بين 1925 و1928 أكثر من مائة بناية، تبرز فيها الهندسة المعمارية الإسلامية، وهي في مجملها من تصميم المهندس برنهاردت إيميل موللر (Bernhardt Emil Muller). وسوف تصبح أوبا لوكا (Opa-Locka) منذ سنة 1926 مقاطعة مستقلة بذاتها، عندئذ ستشتهر باسم «بغداد فلوريدا الجنوبية». ورغم تحول المدينة خلال الحرب العالمية الثانية إلى قاعدة بحرية لتدريب الربابنة، فإنها استعادت في السنوات الأخيرة بعضاً من طابعها الموريسكي، نتيجة ترميم عدد من بناياتها التي شيدت في الماضي على هذا الطراز، والتي سجل عشرون منها في السجل الوطني للمواقع التاريخية[8].

8. Fitzgerald-Bush, Frank S. *A, dream of Araby. Glenn H. Curtis and the founding of Opa-Locka,* Opa-Locka, South Florida Archaeological Museum, 1976.

وفي علاقة دائماً بالهندسة المعمارية الموريسكية، تجب الإشارة إلى الدور الحيوي الذي لعبته صناعة هوليود السينمائية، والتي كانت وراء انتشار تلك الهندسة في عدد من المدن الأمريكية، خصوصاً في الأحياء الراقية. ومن بين الأفلام التي ساهمت في ذلك نذكر **ليلة عربية واحدة** (1920) لمخرجه إيرنيست لوبيش (Ernst Lubitsch)، و**لص بغداد** (1924) لمخرجه راوول والش (Raoul Walsh)، دون أن ننسى **لورانس العرب** الذي استعمل فيه مخرجه ديفيد لين (David Lean)، لتصوير الأحداث التي تدور بالثكنة العسكرية البريطانية في القاهرة، «ساحة إسبانيا» بإشبيلية التي شيدت سنة 1929 بمناسبة المعرض الدولي الأمريكي اللاتيني.

منطقة الكاريبي

يوجد العديد من البنايات التي شيدت على الطراز الموريسكي في كوبا وبورتوريكو وهما آخر مستعمرتين إسبانيتين في أمريكا (استقلتا سنة 1898). هذه البنايات تعكس تأثير الهندسة المعمارية الإيبيرية في منطقة جزر الكاريبي. ومع ذلك تتوجب الإشارة إلى أن انتشار هذه الهندسة، التي ازدهرت بشكل كبير في المنطقة خلال عقدي العشرينيات والثلاثينيات من القرن العشرين، خصوصاً في واجهات بعض الإقامات السكنية، كان بتأثير من الولايات المتحدة، ومن المناطق ذات الطابع الموريسكي في العاصمة الكوبية لاهافانا.نذكر «باسيول [ممرّ] ديل برادو» (Paseo del Prado) حيث شيدت مبان مزجت بين أساليب مختلفة مثل «السبكة» الموحدية، والأقواس التركية، وزخرفة الخطوط المنتمية لعصر أسرة بني الأحمر. هذا الأسلوب التركيبي نعثر عليه كذلك في «فندق إشبيلية» المجاور للمنطقة سالفة الذكر، الذي وضع تصميم واجهته على الطراز الموحدي المهندس خوسيه توراياJosé Toraya) سنة 1908، وشيدت طوابقه الأربعة شركة «الغواردیان»[9] (El Guardián)، في حين وضع تصميم برجه، المهندسان شولتز وويفر (Schultze & Weaver) سنة 1926، كما سلفت الإشارة.

مبنى في «باسيو [ممرّ] ديل برادو» (Paseo del Prado) في العاصمة الكوبية لاهافانا، عقد 1920.

ويعتبر خوسيه توراياواضع تصميم واجهة الفندق المذكور أحد رموز الهندسة المعمارية العربية في لاهافانا. ومن البنايات الأخرى ذات الدلالة الخاصة التي شيدها بالمدينة، نذكر قصر «لاس أورسولیناس» (Las Ursulinas) الذي تذكرنا هندسته بمرحلة الخلافة الأموية في الأندلس، خصوصاً الأقواس الدائرية المتشابكة المستوحاة من مسجد قرطبة، وبالضبط من الجناح الذي شيده الخليفة الحكم الثاني. وقد أضفى توراياعلى زخرفة البناء نكهة خاصة بإضافة اللون الأزرق في صباغة الأقواس.

يتكرر في مكان آخر من القارة وجود بنايات موريسكية مجاورة لبعضها البعض، بحيث يلتصق قصر «لاس أورسولیناس» ببناءين آخرين، شيدا بنفس الأسلوب، أحدهما هو سينما أونيفرسال (Universal). ولا تقتصر الهندسة الموريسكية بالعاصمة الكوبية على الواجهات الخارجية

9. Véase: «Los progresos urbanos. El Palacio del Hotel Sevilla», *El Fígaro*, La Habana, 22 de marzo de 1908.

للمباني، بل نعثر عليها كذلك في المرافق الداخلية والتي نذكر من بينها: أولاً صالون بضيعة لاس ديلثياس (Las Delicias) الذي وضع تصميمه مهندس يدعى شارل برون (Charles Brun) سنة 1906؛ وثانياً حانة «الإشبيلية» التابعة لفندق إنجلترا والتي يلفت الانتباه في ديكورها العربي، الرخام الإشبيلي والجبص الموريسكي الممزوج بالزجاج الكوبي النصف دائري؛ وثالثاً تمثال مذهب لراقصة يعود تاريخه إلى 1911 من تصميم النحات بيرينات (Perinat)، الذي اتبع فيه أسلوب النحات البلنسي ماريانو بينلوري (Mariano Benlliure)؛ ورابعاً «الحدائق المدارية» التي شيدتها إحدى شركات الجعة على الضفة الشرقية لنهر ألميندارياس (Almenda-res) والتي يبرز في زخرفتها، الجبص بألوان مختلفة، وأعمدة بها تيجان تذكر بهندسة عصر بني الأحمر، وخطوط مائلة شبيهة بالخط العربي في كل واجهات الحديقة، تشير إلى سنة تشييدها (أبريل/نيسان 1912)؛ وبركة ماء مستطيلة الشكل، تزكي التشابه الموجود بينها وبين حدائق الحمراء التي استلهمت منها في الأصل فكرة تشييد «الحدائق المدارية».

أما البناء الأكثر تعبيراً عن الهندسة الموريسكية في كوبا، فنجده بمدينة سيينفويغوس (Cienfuegos) الداخلية، يتعلق الأمر بقصر على درجة كبيرة من الجمال، شيده مهاجر إسباني يدعى أثيسكلو ديل فايي (Acisclo del Valle)، أصله من منطقة أستورياس (Asturias)، هاجر إلى كوبا بحثاً عن لقمة العيش قبل أن ينجح في تكوين ثروة كبيرة. لكنه بخلاف أغلب مواطنيه الذين كونوا ثروات في أمريكا، والذين عادوا إلى إسبانيا لتشييد قصورهم هناك، فضل هو المكوث في البلد الذي احتضنه، وشيد القصر المذكور ما بين 1913 و1917، وكان من تصميم المهندس دي بابلو دوناتو (De Pablo Donato) بتعاون مع المهندس الإيطالي ألفريدو كولي (Alfredo Colli) ومع فريق من الحرفيين المتخصصين، من بينهم النقَّاش الإسباني أنطونيو بارثيناس (Antonio Bárcenas)، والحدَّاد الكوبي فرانك بلاثيوس (Frank Palacios)، ودهَّان من نفس الجنسية يدعى ميغيل لاموغليا (Miguel Lamoglia). كل هؤلاء تركوا بصمات من

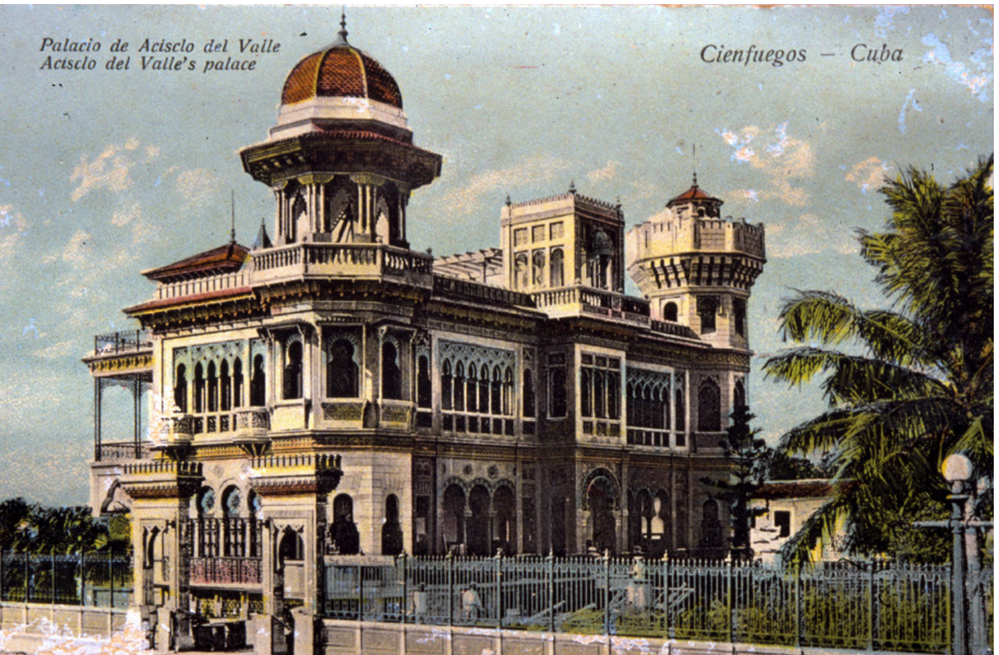

قصر يدعى «أثيسكلو ديل فايي» (Acisclo del Valle) بمدينة سيينفويغوس (Cienfuegos) في كوبا.

الثقافة التي ينتمون إليها بالقصر. ولتحقيق ذلك، كان لزاماً استيراد جل المواد التي استخدمت في تزيينه من الخارج، باستثناء خشب الأكاجو؛ وهكذا استقدم المرمر من مدينة كرّارا (Carrara) الإيطالية، والسيراميك من البندقية وغرناطة، والزخارف الحديدية والفسيفساء من إسبانيا كذلك، والزجاج من بلدان أوروبية أخرى.

يوجد هذا القصر الذي تحول اليوم إلى مطعم، بحي بونتا غوردا (Punta Gorda)، ويضم ثلاثة أبراج مختلفة الأشكال: برج على اليسار يرمز إلى الحب، وبرج على اليمين يرمز إلى القوة، وبرج في الوسط يرمز إلى الدين، وفي واجهته الزجاجية رسمت مشاهد من ميلاد المسيح.

وسواء في الولايات المتحدة أو في بلدان منطقة الكاريبي، برزت الهندسة الموريسكية بدرجة أولى في الأحياء السكنية، وهذا ما تشهد به بالنسبة للولايات المتحدة ما أوردناه بخصوص بالم بيتش وبوكا راتون وكورال غابليس، كما تشهد به بالنسبة للكاريبي مناطق متعددة من بينها حي لوتغارديتا (Lutgardita) بمدينة رانشو بويروس (Rancho Boyeros) الكوبية، والذي طبعه بطابع موريسكي سنة 1931 مهندسان معماريان بارزان هما إيفيلو غوبانتس (Evelio Govantes) وفيليكس كاباروكاس (Félix Cabarrocas)، وكانا قد وضعا سنتين قبل ذلك تصميم رواق كوبا في المعرض الأمريكي اللاتيني بإشبيلية، والذي أبرزا من خلاله الطابع التاريخي للفن الإسلامي.

هناك أحياء أخرى ببلدان منطقة الكاريبي، رغم أنها لم تشيد كاملة بهندسة موريسكية كما هو حال حي لوتغارديتا (Lutgardita)، فإن هذا الطابع بارز في عدد من بناياتها، من بينها حي بايوتا (Bayota) بمدينة سانتورسي (Santurce) في بورتوريكو، حيث شيدت خمس بنايات في ثلاثينيات القرن العشرين بشارع باسايو (Vassallo)، وبناية ليبرون موراليس (Lebrón Morales) في سانتو دومينغو التي يبرز فيها الفناء الداخلي ببركته المستطيلة، وقد وضع تصميمه سنة 1985 المهندس بنيامين باويفونسكي (Benjamín Pawiewonsky).

نعثر على أحياء موريسكية الطابع كذلك في كولومبيا وفنزويلا، من بينها بالنسبة للبلد الأول حي مانغا (Manga) بمدينة قرطاجنة، والذي تبرز من بين بناياته الموريسكية، «فيلا رومان» (Villa Roman) التي يعود تاريخ بنائها إلى سنة 1919 وهي من تصميم المهندس المعماري ألفريدو بادينيس (Alfredo Badenes). بالنسبة للبلد الثاني، ورغم أننا لم نتمكن لحد الآن من الحصول على قائمة مفصلة للمباني التي شيدت على الطريقة الموريسكية، فإنه بإمكاننا ذكر بعض الأحياء التي تحمل هذا الطابع، مثل حي لوس هاتيكوس (Los Haticos) بمدينة ماراكايبو (Maracaibo)، والذي يضم مجموعة من المباني التي تبرز بأقواسها وبأعمدتها الكورنثية؛ وحي بيبا بيستا (Bella Vista) الذي يضم بناية معروفة ذات طابع موريسكي هي ضيعة سان خواكين.

وإذا ما عدنا إلى بلدان منطقة الكاريبي، فإن حالة بورتوريكو معبرة إلى حد بعيد، وقد شيدت أولى البنايات ذات الهندسة الموريسكية بهذا البلد في مدينتي بونثي (Ponce) ومایاغویث (Mayagüez)؛ يتعلق الأمر في الحالتين معاً ببنايات اختفت اليوم مع الأسف، هي بالنسبة للمدينة الأولى مسرح إلبثكوتشون (El Bizcochón) الذي يعود تاريخ بنائه إلى سنة 1880، وبالنسبة للمدينة الثانية رواق شيد في ساحة لاس ديليسياس (Las Delicias) بمناسبة المعرض

«بيت ليبرون موراليس» (Lebrón Morales) («متحف البورسلان» حالياً)، سانتو دومينغو (جمهورية الدومينيكان)، عقد 1920.

الذي نظم سنة 1882، وكان من تصميم المهندس المعماري ماكسيمو مِيانا (Máximo Meana) الذي وضع كذلك تصميم البناية المعروف باسم «بيت رجال المطافئ». ويوجد بنفس المدينة بناء آخر بهندسة موريسكية، هو سوق اللحوم الذي يعود تاريخ تشييده إلى سنة 1926 (يعرف كذلك باسم ساحة الكلاب)، والذي حاول واضع تصميمه المهندس المعماري رفائيل كارمويغا (Rafael Carmoega)، التوفيق بين الهندسة المعمارية الموريسكية وبين الهندسة المنتمية لتيار «الفن الجديد» (Art Nouveau).

ويعتبر كارمويغا (Carmoega) هذا، واحداً من بين ثلاثة أبرز مهندسين معماريين طبعوا بطابع إسباني فن العمارة في بورتوريكو خلال الثلث الأول من القرن العشرين. أما أشهر أعماله فهي واجهة جامعة بورتوريكو بمنطقة ريو بييدراس (Río Piedras) والتي يعود تاريخ بنائها إلى سنة 1936، وفيها مزج بين أسلوب عصر النهضة وبين هندسة لاخيرالدا الإشبيلية، وهو بذلك يذكرنا ببناء آخر، شيد على طراز لاخيرالدا، هو «برج الساعة» (يعرف كذلك ببرج روزفلت) الذي بني ما بين 1937 و1939، وكان من تصميم المهندس شيمل بفينينغ (Pefenning Schimmel).

المهندس المعماري الثاني هو بيدرو دي كاسترو (Pedro de Castro)، الذي وضع تصاميم أعمال عمرانية خارج بلاده كذلك، من بينها بنايتان بجمهورية الدومينيك، الأولى هي إقامة «تيخيرا–ألباريث» (Tejera–Álvarez) بالعاصمة سانتو دومينغو (Santo Domingo)، وبالضبط بمنطقة كاثكوي (Gazcue)، ويعود تاريخ بنائها إلى سنة 1928؛ والثانية بمدينة سانتياغو دي لوس كاباييروس (Santiago de los Caballeros)، ويعود تاريخ بنائها إلى 1929. أما في بورتوريكو، فمن أشهر أعماله بناية «بيت إسبانيا» (Casa de España) في مقاطعة سان خوان العتيقة (Viejo San Juan) والتي يعود تاريخ تشييدها إلى سنة 1933. وقد

المهندس المعماري بيدرو أ. دي كاسترو (Pedro A. de Castro). نافورة الأسود في «بيت اسبانيا»، سان خوان (بورتوريكو)، 1933.

تخرج هذا المهندس من جامعة سيراكوز (Syracuse) بنيويورك، لذا فإن تأثره بـ «الأسلوب الإسباني» كان من خلال نظرة المدرسة الأمريكية. وسوف يطبق في تصاميمه عناصر منقولة من قصر الحمراء، خصوصاً نافورات بهو الأسود، التي نجدها في «بيت إسبانيا» سالف الذكر، كما نجدها في إقامة بمنطقة غوایاما (Guayama)، كانت في ملكية ثري يدعى إنريكي كاليمانو (Enrique Calimano)، وكان قد وضع تصميمها في البداية مهندس معماري آخر هو أنطونين نيشودوما (Antonín Nechodoma)، لكن بعد وفاته سنة 1928 تولى مهمة إكمال التصميم بيدرو دي كاسترو الذي طبعه بطابع إسباني[10]. ومن البنايات الأخرى البارزة التي وضع تصميمها كاسترو، هناك إقامة خاكوبو كاباسا (Jacobo Cabassa) التي شيدت سنة 1924 في مدينة بونثي (Ponce)، بمنطقة غير بعيدة عن حي الحمراء[11].

المهندس المعماري الثالث هو فرانسيسكو رولدان (Francisco Roldán) المتأثر حسب ما يظهر من أعماله، بالتيار التجديدي الذي نشأ في فيينا، والذي عرف كيف يمزجه بعناصر من الفن الموريسكي الذي كان موضة في الولايات المتحدة في عشرينيات القرن العشرين. ومن البنايات المعروفة التي وضع تصاميمها، هناك المؤسسة العلمية «أتينيو بورتوريكينيو» (Ateneo Puertorriqueño) التي يعود تاريخ بنائها إلى 1923، وكان رولدان من أعضائها، وبها يظهر الطابع الموريسكي في الأقواس السبعة الموجودة بالطابق الثاني، وفي الفسيفساء الملون. ويشبه هذا البناء في زخرفته من الداخل والخارج، بناء آخر كان يأوي مكاتب مجلة **بورتوريكو إلوسترادو** (*Puerto Rico Ilustrado*)، وصحيفة **الموندو** (*El Mundo*)، وقد شيد كذلك سنة 1923 بمقاطعة سان خوان العتيقة (Viejo San Juan)، في ملتقى شارعي تانكا (Tanca) وسان خوسيه (San José). ويتجلى الطابع الموريسكي لهذا البناء الذي يوجد اليوم في ملكية بلدية المدينة، في قوس ومجموعة من الأعمدة. وتوجد ببورتوريكو كذلك بنايتان أخريان شيدتا على الطراز الموريسكي، هما «سجن الدولة» بمدينة ريبو بيدراس (Río Piedras) الذي يعود تاريخ بنائه إلى سنتي 1926–1927، ومستشفى «التعاضد المتبادل» الذي شيد بنفس المدينة سنة 1925 والذي يبرز فيه جناح الولادة بأقواسه ونوافذه المزينة بالسيراميك وبالزجاج الموريسكي الملون، وبالأبراج الموجودة بأطرافه والتي صممت على شاكلة مئذنة لاخيرالدا الإشبيلية[12].

المكسيك وأمريكا الوسطى

نعثر على الهندسة المعمارية الموريسكية بشكل واضح في بعض ولايات المكسيك. والحديث عن هذه الهندسة يفرض بالضرورة الحديث عن المهندس المعماري إدواردو تاماريث (Eduardo Tamariz) الذي يعتبر بحق واضع أسس «الأسلوب الموريسكي الجديد» بالمكسيك. ويبرز المشروع العمراني لهذا المهندس المجدد في مدينة بويبلا (Puebla)، حيث وضع تصاميم مبان من بينها «دار التوليد»، التي شيدت ما بين سنتي 1879 و1885 بتكليف من لويس هارو تماريز[13] (Luis Haro y Tamariz)، ومقر الجمعية الفنية الموسيقية «لا بوريسيما كونثيبثيون» (La Purísima Concepción)، الذي يعود تاريخ بنائه إلى سنة 1883، والذي أصبح اليوم مقراً لبرلمان ولاية بويبلا، وإقامة «الماركيز دي مونسيرات» (Marqués de Monserrat) التي وضع تصميمها سنة 1880.

10. Vivoni Farage, Enrique, «La arquitectura de la identidad puertorriqueña», en *Hispanofilia. Arquitectura y vida en Puerto Rico*, San Juan, Editorial de la Universidad de Puerto Rico, 1998, pp. 135-136.

11. Álvarez Curbello, Silvia y Vivoni Farage, Enrique, «Crónica de una casa hispanófila: la Casa Cabassa en Ponce», en *Hispanofilia. Arquitectura y vida en Puerto Rico*. San Juan, Editorial de la Universidad de Puerto Rico, 1998, p. 222.

12. Fernández, Alexander y Rivera, Diana, *Francisco Roldán: Architecture & biography*, San Juan de Puerto Rico, La Nueva Escuela de Arquitectura, 1996. (بحث غير منشور)

13. من رجال الصناعة البارزين في المكسيك في نهاية القرن التاسع عشر، تحولت دار التوليد التي أنشأها إلى مؤسسة تحمل اسمه، ولا زالت تطلع بنفس المهمة إلى اليوم (المترجم).

نمط من تصاميم المعماري إدواردو تاماريث (Eduardo Tamariz)، «بيت طاحونة سان فرانسيسكو» (مجدد). مدينة بويبلا (المكسيك)، عقد 1880.

وإدواردو تاماريث هو دون شك أحد المهندسين المعماريين الأمريكيين اللاتينيين القلائل الذين تعرفوا عن كثب على الهندسة المعمارية الإسلامية، ذلك لأنه بعد تخرجه من المدرسة المركزية للفنون والمهن بباريس، سافر إلى جنوب إسبانيا ثم إلى شمال إفريقيا. ومن بين أعماله الأخرى التي تستحق الذكر، كشك شُيد في ساحة الدستور، بالعاصمة مكسيكو، سنتي 1882–1883 (اختفى سنة 1960 بعدما أقيم مكانه ما يعرف اليوم بنافورة سان ميغيل)[14].

وبجانب ولاية بويبلا نعثر على الهندسة المعمارية الموريسكية في ولاية غواناخواتو (Guanajuato). يشهد بذلك مسرح خواريث (Juárez) الذي ابتدأت أشغال البناء فيه سنة 1873، وإن لم تنته إلا ثلاثين سنة بعد ذلك، وكان قد شرع في وضع تصميمه المهندس المعماري خوسيه نوريغا (José Noriega) ثم أتمه بعد ذلك مهندس معماري آخر هو ريفاس ميركادو (Rivas Mercado). وسيتم افتتاح المسرح في حفل راق ترأسه رئيس الجمهورية بورفيريو دياث (Porfirio Díaz)، وقدمت خلاله أوبرا عايدة لفيردي. ومما يلفت الانتباه في مسرح خواريس، فناؤه الذي شيد على الطريقة «الكلاسيكية الجديدة»، وفضاؤه الداخلي الموريسكي الطابع، وصالون المدخنين الذي روعي فيه أسلوب «الفن الجديد» (Art Nouveau).

أما أشهر بناء موريسكي في المكسيك فيوجد في العاصمة، بحي سانتا ماريا دي لا ريبيرا (Santa María de la Ribera)، يتعلق الأمر في الأصل بنفس الرواق الذي شاركت به المكسيك في المعرض الدولي للصناعة والقطن الذي نظم في نيو أورلينز سنتي 1884–1885، والذي وضع تصميمه المهندس المكسيكي خوسيه رامون إيبارّولا (José Ramón Ibarrola)، وقد شيد بكامله من الحديد من طرف شركة أمريكية[15]. ومما لا شك فيه أن إيبارّولا تأثر في تصميمه لهذا الرواق، الذي يعد أشهر أعماله على الإطلاق، بأسلوب صديقه تاماريث.

وسوف تسمح مشاركة المكسيك في معارض دولية أخرى فيما بعد، خصوصاً معرض بوفالو

14. Martínez, Mónica y Rojas Héctor, Erasmo, «El neoárabe de Eduardo Tamariz», *Artes de México*, nº 54, México (2000), pp. 69-73.

15. تحمل الشركة المذكورة اسم Keystone Bridge de Pittsburgh, Pennsylvania.

نموذج من تصاميم المهندس المعماري خوسيه رامون إيبارّولا (José Ramón Ibarrola). كشك سانتا ماريا دي لا ريبيرا، مدينة مكسيكو، 1884–1908.

(Buffalo) سنة 1901، ببروز الهندسة المعمارية الموريسكية من جديد، حيث تم في رواق المكسيك بالمعرض المذكور، حسب ماوريثيو تينوريو[16] (Mauricio Tenorio)، التوفيق بين الفن الموريسكي وفنون عمرانية منتقاة من مدارس تاريخية أخرى. وعلى غرار معرض بوفالو، ساهم معرض سان لويس، الذي نظم ثلاث سنوات بعد ذلك، والذي شاركت فيه المكسيك بنفس الرواق الذي شاركت به من قبل في معرض نيو أورلينز، في التعريف بالفن الموريسكي الجديد. وللإشارة فإن الرواق المذكور سيعود إلى المكسيك وسيوضع بـ «حديقة مكسيكو المركزية»[17]، حيث استخدم لبيع الياناصيب، قبل أن ينقل سنة 1908 إلى شارع سانتا ماريا دي لا ريفيرا (Santa María de la Ribera)، بعدما تقرر وضع نصب تذكاري للرئيس خواريث (Juárez)، بالمكان الذي يوجد به الرواق.

عادة ما كانت هذه الأروقة ذات الهندسة المعمارية الموريسكية تستعمل لإحياء حفلات موسيقية وأنشطة ثقافية أخرى. ويظهر أن هذا التقليد لم يكن مقتصراً على أمريكا، بل نجده في أماكن غيرها، مثل ما هو الحال بالنسبة لرواق «كنز السلطان» الذي شيد في فيينا سنة 1873، بمناسبة المعرض الذي احتضنته العاصمة النمساوية تلك السنة؛ ورواق «البازار الشرقي» الذي شيد بمنطقة تروكاديرو (Trocadéro) الباريسية، من أجل المشاركة به في معرض باريس سنة 1878. وبالنسبة لأمريكا نذكر الرواق الذي شيد بمدينة بونثي (Ponce) في بورتوريكو عام 1882.

16. Tenorio Trillo, Mauricio, *Artilugio de la nación moderna. México en las exposiciones universales, 1880-1930*, México, Fondo de Cultura Económica, 1998.

17. يطلق عليها بالاسبانية اسم (La Alameda Central de México) وهي أهم حديقة عمومية في المكسيك، شيدها في القرن السادس عشر نائب ملك «إسبانيا الجديدة»، لويس دي فلاسكو (Luis de Velasco) (المترجم).

مشهد آخر من كشك سانتا ماريا دي لا ريبيرا، مدينة مكسيكو، 1884–1908.

كان تشييد هذه الأروقة الموريسكية بألوانها المتضاربة يتم في كثير من الأحيان اعتماداً على كتالوجات أنجزت في بلدان أوروبية ليس لها بالضرورة ماض عربي، وهذه حالة رواق ساحة «إغناثيو ثرغوثا» (Ignacio Zaragoza) بمدينة هيرموسيو (Hermosillo) المكسيكية، الذي شيد اعتماداً على كتالوج طبع في فلورانسا في العقد الأول من القرن العشرين؛ ورواق ثان شيد بمدينة غواياماس (Guaymas)، التي تبعد 138 كلم عن مدينة هيرموسيو، وأروقة بمدن مكسيكية أخرى هي: خيريث دي غارثيا ساليناس (Jerez de García Salinas) وتامبيكو (Tampico) وتلاكوتالبان (Tlacotalpan).

ومن البنايات الأخرى ذات الهندسة المعمارية الموريسكية التي تلفت الانتباه بالمكسيك، مجموعة من الكنائس يعود تاريخ بنائها إلى القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، نذكر من بينها: كنيسة سان دييغو (San Diego) بمدينة موريليا (Morelia) (تعرف كذلك باسم «معبد غوادالوبي» [Santuario de Guadalupe])، وقد امتد بناؤها من 1907 إلى 1912، وكانت من تصميم المهندس خواكين هورتا (Joaquín Horta) الذي سبق ووضع زخرفة كنيسة تلالبوخاهوا (Tlalpujahua) التي تبرز بألوانها الزاهية، وإن لم تصل العناصر الموريسكية الموجودة بها لما هو موجود بكنيسة سان دييغو سالفة الذكر، وبمصلى القديس يوسف بكتدرائية ليون التي شيدت ما بين 1891 و1893، بمدينة غوانخواتو (Guanajuato).

ودائماً في المكسيك، نعثر على مبان موريسكية الهندسة معدة للسكن كذلك، أوردت نماذج منها الباحثة إليزا غارثيا برغان (Elisa García Barragán) في دراستها الرائدة حول الموضوع[18]، من بينها إقامة واحدة بمدينة أغواسكالييتيس (Aguascalientes) وضع تصميمها المهندس ريفوخيو رييس (Refugio Reyes)، وثلاث إقامات بالعاصمة الفدرالية، الأولى بـ «منطقة خواريث» (Colonia Juárez)، والثانية عند ملتقى شارعي «الثورة» و«روبينز» (Rubens) ويعود تاريخها إلى 1903 وهي من تصميم المهندس المعماري إنريكي أولايتا (Enrique Olaeta)، والثالثة بشارع «نهر ميكسكواك» (Río Mixcoac) وبالضبط بزاوية شارع «فيليكس بارّا» (Félix Parra).

يجب التنبيه هنا إلى أن الطابع الموريسكي في النماذج المشار إليها، لا يشمل البناية بكاملها، وإنما فقط بعض المرافق، هي عادة تلك المخصصة للتسلية، أساساً تسلية الرجال، مثل صالونات التدخين. ويوجد أشهر صالونين في المكسيك تتوفر فيهما هذه الصفة، في إقامتين بمدينة بوبيلا، وضع تصميم الأول منهما المهندس المعماري كارلوس بييو (Carlos Bello)، وأشرف على زخرفته ما بين 1900 و1905 الأخوان أرْبا (Arpa) وهما في الأصل من مدينة إشبيلية، ووضع تصميم الثاني المهندس المعماري أغوستين سيلفا (Agustín Silva) سنة

18. Garcia Barragán, Elisa, «Supervivencias mudéjares y presencias orientalistas en la arquitectura mexicana», *Anales del Instituto de Investigaciones Estéticas*, México, nº 45 (1976), pp. 137-146.

1913، وهو مطل على منتزه برافو (Bravo) الخلاب[19]. هذه الصالونات لم تكن حكراً على الإقامات الخاصة، بل نجدها كذلك في البنايات العمومية، مثل الصالون الذي شيده المهندس المعماري أنطونيو ريفاس (Antonio Rivas) داخل «القصر الوطني» بمدينة مكسيكو، والصالون الموجود بمقر إقامة رئيس الجمهورية في بانما، والصالون الموجود بإقامة رئيس الجمهورية في ماناغوا عاصمة نيكاراغوا. ويعود تاريخ بناء قصر بانما إلى سنة 1673، لكنه سيجدد سنة 1922 بإضافة «فناء أندلسي» في الطابق الثاني، و«صالون موريسكي» في الطابق الثالث. وقد أشرف على عملية التجديد المهندس ليوناردو فيانويفا (Leonardo Villanueva) بتكليف من رئيس الجمهورية بيليساريو بورّاس (Belisario Porras)، أما صالون «ماناغوا» فقد تم افتتاحه سنة 1931 أثناء ولاية الجنرال خوسيه ماريا مونكادا (José María Moncada). ويوجد بنفس العاصمة ماناغوا، بناء موريسكي آخر، يعود تاريخه إلى 1898، هو سوق «ماسايا» (Masaya) (يعرف اليوم باسم أطلال السوق القديم)، الذي وضع تصميمه المهندسان سيمان (Simán) وبيمنتيل (Pimentell). ويبلغ طول هذا السوق 110 أمتار، وقد اصطفت بجوانبه الأربعة أكثر من مائة باب ونافذة، صممت كلها على الطريقة الموريسكية.

منطقة الأنديس

يمكن أن نبدأ تحليل مظاهر الهندسة الموريسكية في هذه المنطقة من خلال نماذج برزت بدرجة أولى في كولومبيا، خصوصاً في حلبات مصارعة الثيران. يتعلق الأمر بتأثيرات وصلت مباشرة من إسبانيا وليس عبر المسالك الأنجلوسكسونية أو المعارض الدولية والتي كانت وراء تشييد جل البنايات سالفة الذكر. هناك نقطة أخرى نود الإشارة إليها في الحالة التي نحن بصددها، وهي إمكانية الحديث بدلاً عن الهندسة المعمارية «العربية الجديدة» (Neoárabe) كما فعلنا في الحالات السابقة، الحديث عن الهندسة المعمارية «المدجنة الجديدة» (Neomudéjar). ويرى بونيت كوريا (Bonet Correa) في هذا السياق أن الفرق بين الاثنين هو بمثابة «الفرق بين توجه يكتفي بنقل وتقليد نموذج تاريخي راق، وبين توجه يسعى لخلق أسلوب جديد قادر على التأقلم مع الاتجاهات المعمارية الحديثة؛ بعبارة أخرى، ينتمي الأسلوب 'العربي الجديد' إلى ذلك العالم الذي يميل إلى كل ما هو طريف، من أجل خلق جو افتراضي إيحائي شبيه بمشاهد سينمائية، في حين يميل الأسلوب 'المدجن الجديد' إلى ما هو واقعي بنيوي، وهذا ما يجعله مختلفاً عن الأسلوب الأول الذي يبقى في نهاية المطاف نوعاً من الديكور ومن الإيحاء المسرحي...[20]». ويركز باحثون آخرون، في حديثهم عن الاختلاف الموجود بين الاتجاهين، على المواد المستعملة في البناء، ذلك لأن الفن «المدجن الجديد» يستعمل بالأساس القرميد.

وتعتبر حلبة مصارعة الثيران المعروفة باسم «الساحة الجديدة» والتي وضع تصميمها بـ «شارع القلعة» (Calle de Alcalá) بمدريد سنة 1874 مهندسان معماريان، هما لورينثو ألباريث (Lorenzo Álvarez) وإيميليو رودريغيث (Emilio Rodríguez)، المرجع الذي استندت إليه بقية حلبات مصارعة الثيران التي شيدت فيما بعد على الطراز العربي بإسبانيا كما بأمريكا اللاتينية. وكان المهندس الأخير قد صمم سنة واحدة قبل ذلك رواق إسبانيا في المعرض الدولي بفيينا. وحسب بونيت كورّيي دائماً، «يقف التيار الرومانسي الذي يظن أن رياضة مصارعة الثيران بدأت في إسبانيا خلال فترة حكم المسلمين، وراء تشييد ملاعب مصارعة الثيران

19. Terán Bonilla, José Antonio y Velázquez Thierry, Luz de Lourdes, «Salones fumadores de Puebla», *Artes de México*, México, nº 54 (2001), pp. 78-81.

20. Bonet Correa, Antonio, *El estilo Neoárabe en España*, Madrid, 2003.

تصميم سانتياغو مورا، حلبة مصارعة الثيران سانتا ماريا، بوغوتا (كولومبيا)، 1931.

بتصاميم مستوحاة من الهندسة العربية الجديدة»[21].

وسيستمر استعمال ملعب شارع القلعة بمدريد إلى غاية سنة 1934، حيث افتتحت رسمياً ساحة أخرى لمصارعة الثيران، هي حلبة «لاس فينتاس» (Plaza de las Ventas)، والتي يعود وضع تصميمها إلى سنوات قبل ذلك. وستصبح هذه الساحة بهندستها «المدجنة الجديدة» (Neomudéjar)، المرجعية الأساسية للعديد من حلبات مصارعة الثيران التي ستشيد بعد ذلك في إسبانيا وفي منطقة الأنديس ومناطق أخرى، مثل حلبة «ماكارينا» (Macarena) في مدينة ميدايين (Medellín) الكولومبية، وحلبة «سانتا ماريا» (Santa Maria) بمدينة بوغوتا، عاصمة نفس البلد، والتي وضع تصميمها المهندس المعماري الإسباني سانتياغو دي مورا (Santiago de Mora) سنة 1931. وتجدر الإشارة هنا إلى أنه إلى غاية هذه السنة، كانت توجد في العاصمة الكولومبية ما لا يقل عن تسع عشرة حلبة لمصارعة الثيران[22].

إن قائمة ساحات مصارعة الثيران ذات التصاميم العربية طويلة في كولومبيا، ولازالت هذه الساحات تشيد إلى اليوم بهندسة عربية. وقد تم سنة 2000، ترميم حلبة مصارعة الثيران المسماة «البوسكي» (El Bosque) (الغابة) والموجودة بمدينة أرمينيا (Armenia) على الطراز العربي، بعد الأضرار التي لحقتها عقب الزلزال الذي ضرب المدينة في شهر يناير من السنة المذكورة. ومن بين ساحات مصارعة الثيران في كولومبيا التي لها خصوصية متميزة، نذكر «حلبة غرناطة» بمدينة كالي (Cali)، والتي يمكن أن نعتبرها حلبة متنقلة، ذلك لأنها شيدت في مدينة طليطلة الإسبانية قبل أن تعبر المحيط الأطلسي. وتصل الطاقة الاستيعابية لهذه الحلبة إلى أربعة آلاف متفرج، وكما هو موضح في لوحاتها الاشهارية، فهي «مجهزة ببنية معدنية صلبة، تم تجريبها في

21. Bonet Correa, Antonio, *El estilo Neoárabe en España*, Madrid, 2003.

22. Tavera Aya, Fernando, «Los toros en Bogotá y Cartagena, dos siglos de tradición republicana», *Revista Credencial Historia*, Bogotá, nº 62 (febrero de 1995).

تصميم إنرّيكي أولايتا، مبنى في جادة الثورة وروبنس، مدينة مكسيكو، 1903.

بناء مدرسة في مركز مدينة غواتيمالا التاريخي، عقد 1920.

بناء في مدينة سان سلفادور (السلفادور)، عقد 1930.

عدد من البلدان الأخرى، مما يسمح بتنظيم مختلف الأنشطة بها في ظروف مريحة، مع توفر كامل الشروط الأمنية والمهنية»[23]. ومن الأمور التي تلفت الانتباه في هذه الحلبة، مجموعة من الأقواس التمويهية ذات الهندسة العربية، رسمت على الجدار المطاطي الذي يحيط بميدان المصارعة.

بالنسبة للبيرو، رغم أن أقدم حلبة مصارعة الثيران وهي حلبة أشو (Acho) بالعاصمة ليما، والتي شيدت في الربع الأخير من القرن الثامن عشر على عهد نائب الملك أمات (Amat) لا تحمل طابعاً موريسكياً، فإن فضاءات عمومية أخرى للترفيه بنفس المدينة تتميز بهذا الطابع، نذكر من بينها ملعب الفروسية بمنطقة سانتا بياتريث (Santa Beatriz)، الواقعة بضواحي العاصمة، وهو من تصميم المهندس المعماري ألفريدو بنافيديس (Alfredo Benavides)، الذي أضفى على منصته الخشبية طابعاً موريسكياً، بحيث وضع في جزئها العلوي شرفة بها قبة يزينها هلال. وكان هذا الملعب قد فتح أبوابه لأول مرة سنة 1903، واستقبل مسابقات الخيول على امتداد خمسة وثلاثين سنة.

أما أشهر بناء موريسكي في العاصمة البيروفية، والذي لا زال يحظى باهتمام خاص إلى اليوم، فهو «الرواق الموريسكي» الموجود بحديقة المعارض، وكانت الجالية الإسبانية قد قدمته هدية للحكومة البيروفية بمناسبة مرور مائة سنة على الاستقلال. يتعلق الأمر بقوس كبير ملون بلونين على طريقة أقواس مسجد قرطبة. وسوف يتم سنة 2000 ترميم القوس وتوسيع محيط فنائه. وبخصوص البناء الموريسكي الأكثر طرافة في البيرو، فهو دون شك ذاك الموجود في مقاطعة سان ميغيل (San Miguel) وبالضبط في «حديقة الهلال»، والتي سميت كذلك بسبب شكل القوس الموجود بها، والذي أصبحت له دلالة خاصة لدرجة تم معها إدماجه في الشعار الخاص بالمقاطعة.

وإذا ما انتقلنا إلى ولايات البيرو الداخلية، نجد من بين البنايات ذات الهندسة المعمارية الموريسكية، «فندق بالاس» (Hotel Palace)، ذا الطوابق الثلاثة، بمدينة إيكيتوس (Iquitos) والذي اعتبر خلال عقود أفخم فندق في منطقة الأمازون البيروفية. ويرجع تشييد هذا الفندق الذي امتد بناؤه من 1908 إلى 1912، إلى الازدهار الاقتصادي الذي عرفته المنطقة مع بداية استغلال المطاط في نهاية القرن التاسع عشر. وكان هذا الازدهار الاقتصادي وراء تشييد بنايات أخرى راقية ذات طابع موريسكي بنفس المدينة تم تزيينها بملاط مستورد من أوروبا، وبشبابيك حديدية إشبيلية الطراز. ويبرز من بين كل هذه البنايات، «بيت الحديد» وهو بناء وضع تصميمه المهندس الفرنسي ذائع الصيت كوستاف إيفيل (Gustave Eiffel) (مصمم برج إيفيل).

وفي الإكوادور نعثر على الطابع الموريسكي في بنايات من بينها «برج الساعة» في غواياكيل (Guayaquil)، وهو بناء مثمن الزوايا يعود تاريخه إلى سنة 1842، وقد تم تجديده سنة 1930 بعد أن حطمته حركة المد والجزر. كما نعثر على نفس الطابع ببرج ثان بمدينة لوخا (Loja)

23. راجع: http://www.plazatoros.com.co/plamov.htm

يصل علوه إلى 32 متراً، شيد بـ «حديقة الاستقلال» (تسمى كذلك حديقة سان سباستيان) التي شهدت صرخة التحرير سنة 1820. ومما لاشك فيه، فالحديث عن هذين البناءين الموريسكيين يدفعنا للحديث عن بنايات أخرى ذات دلالة في الإكوادور، نذكر من بينها إقامة فيياغوميث (Villagómez) في كيتو التي شيدها المهندس المعماري فرانسيسكو دوريني (Francisco Durini) والتي حصلت سنة 1932 على جائزة أورناتو (Ornato)، وهي تستخدم اليوم كمقر لمؤسسة هايو (Hallo). ويلفت الانتباه في هذا البناء، الستائر الحديدية المستعملة للفصل بين الفضاءات العمومية والخصوصية، وزخارف هندسية، وخطوط منقوشة بالعربية أغلبها دون معنى محدد، لأنه في أغلب الحالات عندما يتعلق الأمر بوضع ديكور على شكل حروف، يكون مصممها لا يعرف العربية، ويكتفي بإبراز الطابع الجمالي، وعادة ما كان يتم نقل تلك الحروف من بعض القوالب أو من كتب واسعة الانتشار مثل كتاب أوين جونز (Owen Jones)، **تصاميم وارتفاعات، وأقسام، وجزئيات قصر الحمراء**، الصادر بلندن سنة 1842، وخصوصاً كتاب **قواعد الزخرفة** لنفس المؤلف والصادر كذلك بلندن سنة 1856.

وبخصوص بوليفيا، فإن النموذجين الأكثر تعبيراً عن الهندسة الموريسكية هما قصر لاغلوريتا (La Glorieta) في ضواحي مدينة سوكري (Sucre)، الذي وضع تصميمه حوالي سنة 1900 المهندس المعماري أنطونيو كامبونوفو (Antonio Camponovo)، وقد مزج فيه بين تأثيرات أكثر من عشر مدارس هندسية، وقصر بورتاليس (Portales) بمدينة كوشابامبا (Cochabamba) الذي شيد ما بين 1912 و1927 لحساب المليونير سيمون باتينيو (Simón Patiño)، ويقع في مفترق شارعي بوتوسي (Potosi) وبوينوس أيرس. ورغم أن هذا البناء الأخير هو في خطوطه العريضة ذو طابع فرنسي، فإن بداخله قاعة للعب البيار بزخرفة موريسكية مستوحاة من قصر الحمراء.

بلدان الشطر الجنوبي من أمريكا اللاتينية

إذا ما اتجهنا جنوباً على امتداد منطقة الأنديس الموازية للمحيط الهادي، سنعثر على واحد من البلدان الأكثر تعبيراً عن الهندسة المعمارية الموريسكية الجديدة؛ يتعلق الأمر بتشيلي الذي يأوي أقدم بناية في أمريكا اللاتينية تجسد هذه الهندسة، إنها الإقامة المعروفة باسم «قصر الحمراء» والموجودة بشارع كومبانيا (Compañía) بالعاصمة سانتياغو. يعود تاريخ البناية إلى 1862، وهي من تصميم المهندس المعماري مانويل ألدوناتي (Manuel Aldunate)، وقد شيدت بتكليف من رجل الأعمال فرانسيسكو إيغناسيو أوسا (Francisco Ignacio Ossa). ومما لا شك فيه أن واضع التصميم زار قصر الحمراء ليرى عن قرب المرافق التي أدرجها في تصميمه، وإن كنا لا نستبعد أنه استأنس كذلك بكتابي أوين جونز سالفي الذكر. وفي سنة 1891، وبعد وفاة أوسا بيع القصر لمليونير آخر هو كلاوديو فيكونيا (Claudio Vicuña)، الذي انتزع منه عقب مصادرة أملاكه. وسيعرف الفن «الموريسكي الجديد» نقلة أخرى مع هذا المليونير، من خلال ضريحه الكائن في «المقبرة المركزية» بسانتياغو، والذي وضع تصميمه المهندس المعماري الإيطالي تيبالدو بروغنولي (Tebaldo Brugnoli).

وبخصوص بقية ولايات تشيلي، نعثر كذلك على أمثلة معبرة عن الهندسة المعمارية الموريسكية، من بينها «الكازينو الإسباني» بمدينة إيكويكي (Iquique) الساحلية، الذي وضع تصميمه سنة 1904 المهندس المعماري ميغيل ريتورنانو (Miguel Retornano).

► بناية في مدينة ميرافلوريس، ليما (البيرو)، عقد 1920.

ومن الأمور التي تستحق الإشارة في الهندسة «الموريسكية الجديدة»، اعتبارها رمزاً للثقافة الاسبانية، وهذا ما سجلناه منذ القرن التاسع عشر، في المعارض الدولية التي شاركت فيها إسبانيا، مثل معرض فيينا سنة 1873 الذي شاركت فيه برواق من تصميم المهندس لورينثو ألباريث (Lorenzo Álvarez)، ومعرض باريس سنة 1878 الذي شاركت فيه برواق من تصميم المهندس أغوستين أورتيث (Agustín Ortiz). ورغم أن حضور إسبانيا في معرض باريس لسنة 1900 حاد عن هذا الاتجاه، بمشاركتها برواق من تصميم المهندس خوسيه أوريوستي (José Urioste)، كان مزيجاً من مؤثرات عصر النهضة الأوروبية والعصر القوطي، وذلك في سعيها للظهور بمظهر الأمة المثقفة المرتبطة بجذورها القشتالية، وهو ما كان يتماشى وأفكار تيار «جيل ثمانية وتسعين»[24]، فإن الابتعاد عن الهندسة الموريسكية سرق الأضواء من رواق إسبانيا لصالح رواق وضع تصميمه مهندس فرنسي هو ديرناز (Dernaz)، حمل اسم «رواق الأندلس في عصرها الإسلامي»، وكان يتضمن مجموعة من المشاهد والصور والإيحاءات عن الأندلس، من بينها مشهد تمويهي يرمز إلى قصر الحمراء.

غير أن هذا التحول الحاصل في الصورة التي كانت تريد أن تقدمها إسبانيا عن عمارتها لم يدم كثيراً، فسرعان ما عاد المعمار الموريسكي للحضور، سواء من خلال المعارض التي شاركت فيها، مثل معرض بروكسيل سنة 1910، أو من خلال المباني التي شيدتها بأمريكا اللاتينية مثل بناية مدينة إيكويكي (Iquique) التشيلية سالفة الذكر، والرواق الموريسكي بعاصمة البيرو الذي أهدته الجالية الإسبانية إلى مدينة ليما سنة 1921 كما أسلفنا، والبناية الجميلة التي تأوي مقر الجالية الإسبانية في مدينة بارنا (Paraná) الأرجنتينية، والتي وضع تصميمها المهندس سانتوس دومينغيث (Santos Domínguez)، وقد زينت واجهتها بأقواس علق عليها علم إسبانيا، ومقر «الجمعية الإسبانية للتعاضد المتبادل» بمدينة قرطبة الأرجنتينية التي يعود تاريخ تشييدها إلى سنة 1913، والتي قام بصباغة فنائها الرئيسي الرسام فرناندو بونفيغليولي (Fernando Bonfiglioli)، و«النادي الإسباني» في بوينوس أيرس الذي يعود تاريخ بنائه إلى 1912، والذي اشتهر منه صالون «قصر الحمراء» لاستعماله في تنظيم الحفلات العمومية والمآدب، وكان قد وضع تصميمه المهندس المعماري إنرّيكي فولكيرز (Enrique Faulkers) وتولى تزيين جدرانه بالرسوم والألوان الفنان الأرجنتيني فرانسيسكو فيار (Francisco Villar) وزوجته الفرنسية ليوني ماتيس (Léonie Matthis)، اللذان سبق وتعارفا سنتين قبل ذلك في غرناطة.

المهندس المعماري مانويل ألدوناتي (Manuel Aldunate). جزء من «الحمراء»، العاصمة سانتياغو (تشيلي)، 1862.

24. تيار فكري وجودي ظهر بإسبانيا في نهاية القرن التاسع عشر ودعا إلى التجديد، يغلب على أعماله الطابع التشاؤمي، سمي بـ «جيل 98» كناية عن السنة التي فقدت فيها إسبانيا آخر مستعمراتها بأمريكا اللاتينية (1898)، حمّل مثقفوه مسؤولية التخلف الاقتصادي والاجتماعي والثقافي التي كانت تعيشه إسبانيا، للطبقة السياسة (المترجم).

ويقدم ما وضعاه من رسوم[25] صورة بانورامية لغرناطة كما تظهر من ساحة «شرفة القديس نيكولاس»[26] (San Nicolás) الواقعة أعلى حارة البيازين في الهضبة المقابلة لقصر الحمراء.

ومن الأمثلة الأخرى للهندسة الموريسكية التي نعثر عليها في ولايات الأرجنتين الداخلية، نذكر إقامة عائلة باث شاييث (Paz Chaiz) بولاية سالطا، رغم أن الطراز الأندلسي لهذه البناية يطغى عليه الطابع الهوليودي. ويعود تاريخ تشييد البناية إلى أربعينيات القرن العشرين، نفس العقد الذي شُيد فيه مسبح «خوان بيرون» والذي يتناغم حوضه العصري مع حدائقه الموريسكية، ومع طريقة تصريف المياه التي روعي فيها الطابع العربي. ودائماً في ولايات الأرجنتين الداخلية، يلفت الانتباه بمدينة روساريو (Rosario) المباني ذات الهندسة الموريسكية التي شيدها المهندس المعماري خوسيه سولير (José Soler)، والتي نذكر من بينها إقامته الخاصة وفندق سينترال (Hotel Central)، وضيعة ماثة (Mazza) التي شيدت من الخشب بمنطقة ألبيردي (Alberdi). أما في مدينة سان لويس (San Luis)، فإن أهم بناء موريسكي هو كنيسة سيدتنا «روساريو دي تورونتو» (Rosario de Toronto) التي يعود تاريخ بنائها إلى سنة 1938. وبخصوص مدينة لابلاتا (La Plata)، نعثر على الطابع الموريسكي في بهو إقامة أرانا (Arana)، الذي كانت به في الماضي نافورة طبق الأصل لتلك الموجودة في بهو الأسود بقصر الحمراء، شيدها ما بين 1889 و1891 النحات الإسباني أنخيل بيريث[27] (Ángel Pérez).

وفي حي باليرمو (Palermo) وهو قلب بوينوس أيرس النابض، شيدت في نهاية القرن التاسع عشر مبان ذات هندسة موريسكية، من بينها البناء المعروف باسم «بابيون دي لوس لاغوس» (Pabellón de los Lagos)، والذي وضع تصميمه سنة 1899 المهندس المعماري لوفاشي (Le Vacher)، وقد استعمل لتنظيم اللقاءات الاجتماعية والمآدب والحفلات الخيرية، قبل أن يتم هدمه سنة 1929، ليشيد مكانه سنوات بعد ذلك البناء المسمى بـ «الفناء الأندلسي» والذي لا يزال قائماً إلى اليوم.

وإذا ما عبرنا نهر ريو دي لابلاتا (Río de la Plata) انطلاقاً من العاصمة الأرجنتينية، عثرنا في الضفة المقابلة أي في مدينة سان كارلوس (San Carlos) بالأوروغواي، على حلبة لمصارعة الثيران يعود تاريخ بنائها إلى سنة 1909، شيدت على الطراز الموريسكي، مع استعمال بنية حديدية في البناء مستوردة من بلجيكا. وقد اعتبر هذا الملعب بمثابة استثمار اقتصادي سعى لجلب جمهور المهاجرين الإسبان المقيمين في الضفة الأرجنتينية لنهر ريو دي لا بلاتا، وتمكينهم من واحدة من رياضاتهم المفضلة. وكانت شركة تحمل اسم «المؤسسة الملكية» قد شيدت مركباً سياحياً في ميناء مدينة سان كارلوس» لاستقبال السياح القادمين من بوينوس أيرس، ضم بالإضافة إلى حلبة مصارعة الثيران، ملعباً رياضياً آخر، وفندقاً هو فندق الكازينو الكبير (El Gran Hotel Casino). غير أنه سيتم إغلاق حلبة مصارعة الثيران سنة 1912 بأمر من رئيس الجمهورية خوسيه باتلي (José Batlle) وموافقة عمدة المدينة، فليبي سواريث (Felipe Suárez)، بعد وقت قصير من تدشينه، عقب منع ممارسة هذه الرياضة في الأوروغواي. وبهذه الطريقة عرفت الحلبة نفس المصير الذي عرفته سنة 1888 حلبة العاصمة مونتيفيديو. وكان قرار الإغلاق هذا سبباً في فشل مشروع الشركة المذكورة، وإهمال المركب السياحي الذي سيهدم جزء منه بعد ذلك.

جانب من مبنى «الحمراء» لمانويل ألدوناتي (Manuel Aldunate) في العاصمة سانتياغو (تشيلي)، 1862.

25. تمت بعد ذلك إعادة تلوين هذه الرسوم بالصباغة، وهو ما نجم عنه فقدانها لبعض خصوصياتها.

26. هذه الشرفة من بين المواقع التي أعطاها المسيحيون أسماء جديدة بعد دخولهم غرناطة في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي (المترجم).

27. Contin, Mabel, «Algunos aspectos de la influencia de los jardines hispano-islámicos en los patios de Argentina», *Anales Linta ´99*, La Plata (2000), pp. 55-56.

تصميم المهندسين المعماريين لويس مارتين (Louis Martin) وجولس دورمال (Jules Dormal). جزء من الصالون الموريسكي لقصر بريدا (سفارة البرازيل الآن)، بوينس آيرس (الأرجنتين)، عقد 1920.

ودائماً في الأوروغواي، توجد بالعاصمة مونتيفيديو عدة نماذج معبرة عن الهندسة المعمارية الموريسكية، هي بالأساس إقامات سكنية في ملكية أفراد من المجتمع الراقي، يقع أشهرها بحي البرادو (El Prado)، من أبرزها ضيعة أيستمان (Eastman) (تسمى كذلك جنينة الأزهار) التي وضع تصميمها المهندس الفرنسي فيكتور رابو (Víctor Rabú) سنة 1880، والتي اقتنتها عائلة فرناندیث (Fernández) سنة 1915. وكانت هذه العائلة قد كلفت أحد أصهارها وهو المهندس أوكتافيو سامبوسيتي (Octavio Sambuceti)، بترميمها بتعاون مع مهندس آخر هو ألفريدو فالدومير (Alfredo Baldomir). وبنفس حي «البرادو» توجد ضيعة أخرى موريسكية الهندسة، يعود تاريخ بنائها إلى حوالي سنة 1870، هي فيلا بلاتيرو (Villa Platero)، وضيعة ثالثة امتلكها شخص يدعى مانويل روبيو (Manuel Rubio)، وضع تصميمها سنة 1896 مهندس من أصل كطلاني كان مقيماً بالأوروغواي هو إيميليو بوييكس (Emilio Boix)، الذي وضع كذلك تصميم حديقة مؤسسة أتينيو (Ateneo) الثقافية. هذه الإقامات والضيعات تعتبر عينة معبرة عن اتجاه في الهندسة المعمارية الأكاديمية، برز في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر، حاول إبراز كل ما هو طريف في فن العمارة.

ختاماً وإذا ما عرجنا على البرازيل، فإن أهم بناء موريسكي الهندسة لا يزال قائماً إلى اليوم هو القصر الذي يأوي مكاتب معهد أوسفالدو كروث (Instituto Osvaldo Cruz)، الموجود بالمدينة التي تحمل نفس الاسم والتابعة لولاية ساو باولو، وكان قد وضع تصميمه المهندس لويس موراييس (Luis Morais) بطلب من كروث نفسه، والذي يعتبر مؤسس الطب التجريبي في البرازيل. وكان كروث قد أشرف سنة 1900 على تشييد مركز متواضع بالمنطقة المعروفة باسم مانغينيوس (Manguiños) المجاورة للمكان حيث يوجد حالياً مطار غالياو (Galeao) الدولي، ليكون مقراً للمعهد، قبل أن يقدم سنة 1905 على تشييد معهد أكبر، كلف بوضع تصميمه

▲ تصميم المهندسين المعماريين سانتوس دومينغيث وبينغواريا (Santos Domínguez y Benguaria)، الجمعية الإسبانية، بارانا، الأرجنتين.

سانتو دومينغو، بيت ليبرون موراليس. جمهورية الدومينيك.

المهندس سالف الذكر، والذي اعتمد على خياله الاستشراقي في توزيع مرافق البناء التي تضم مختبرات، ومكتبة، ومتحفاً، ومكاتب خاصة بالإدارة والسكرتارية. وبالإضافة إلى المعهد، كان يوجد بمدينة ريو دي جانيرو، على شاطئ بوتافوغو (Botafogo)، بناء أكثر تجسيداً للأسلوب الموريسكي، اختفى اليوم، كان يحمل اسم «الرواق الموريسكي».

إن الأمثلة التي أخذناها في هذه الدراسة هي مجرد عينات تؤكد الامتداد الجغرافي اللامحدود للهندسة المعمارية العربية، التي يعتبر قصر الحمراء أحد رموزها. وهي هندسة فرضت نفسها في مناطق لم يكن لها أحياناً اتصال مباشر بالقصر الغرناطي ولا بالثقافة الإسلامية عامة. وقد ساهمت هذه المباني التي اختفت مع الأسف في الوقت الحاضر، أو توجد في وضعية متدهورة، في التعريف بفن العمارة الإسلامية، على غرار ما ساهمت به الأروقة موريسكية الطراز التي شاركت في معارض دولية، مثل رواقي المكسيك في معرضي أورليان سنة 1884، وبوفالو (Buffalo) سنة 1901، ورواق السالفادور في معرض باريس سنة 1889، ورواق البرازيل، وهو أقدمها، في معرض فيلاديلفيا سنة 1876، وكان من تصميم المهندس المعماري الأمريكي فورنيس[28] (Furness).

◄ مبنى في ساو باولو (البرازيل)، عقد 1920.

28. Thomas, George E., Cohen, Jeffry A. and Lewis, Michael J., *Frank Furness. The complete works*, New York, Princeton Architectural Press, 1996.

«معهد أوسفالدو كروث» (Osvaldo Cruz)، تصميم المهندس المعماري لويس موراييس (Luis Morais)، ريو دي جانيرو (البرازيل)، 1905.

Manšūrāt Markaz Dirāsāt al-Andalus wa-Ḥiwār al-Ḥaḍārāt

(Publicaciones del Centro de Estudios Al-Andalus y Diálogo de Civilizaciones)

Serie: Traducciones 1

QAṢR AL-ḤAMRĀ’

Ḏākirat al-Andalus

[La Alhambra, memoria de al-Andalus]

Rabat
2015